المحاضرة الخامسة : المنهج التاريخي ( غوستاف لانسون ) 1857/1934

يعزى الفضل في بلورة المنهج التاريخي إلى الناقد الفرنسي الشهير ( غوستاف لا نسون )، فعلى يدي هذا الناقد الفذ تحددت ملامح المنهج التاريخي واتضحت قسماته . إن الحديث عن المنهج التاريخي يقتضي بالضرورة الإشارة إلى ارتباطه بهذا الناقد ،حتى غدا ينسب إليه ، وأصبح يعرف في فرنسا تحديدا ب " اللانسونية " وقد عدها البعض منهجا أخذ في التشكل حينما التقت الفلسفة الوضعية مع التاريخ في القرن التاسع عشر .

و الواقع أن هذا الناقد لم ينشئ المنهج التاريخي من العدم ، وإنما استند إلى النقاد الذين سبقوه من أمثال سانت بوف ، وهيبوليت تين ، وبرونتيير، وأفاد منهم في وضعه ، وعن ذلك يقول : " ليس المنهج الذي أحاول أن أعطي فكرة عنه من ابتكاري ، وما هو إلا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عددمن سابقي ومعاصري بل واللاحقين من الناشئين ".-1-

يقر ( لانسون ) إذن أنه صاغ منهجه النقدي اعتمادا على النفاد الذين سبقوه ، كما أفاد دون شك من الابحاث التاريخية

والسوسيو لوجية ،والوضعية في إقامة دعائم هذا المنهج .

لقد حرص ( لانسون ) على تحديد خطوات المنهج التاريخي في مقالته الشهيرة " منهج تاريخ الادب " التي نشرها عام 1910 في مجلة الشهر .

لعل من أبرز المبادئ التي ينبغي للباحث أن يضعها نصب عينيه ،وأن يوليها العناية الفائقة التحلي بالروح العلمية حتى يكون عمله علميا ،ويتمشى في الوقت نفسه مع طبيعة الادب . إن الروح العلمية عنده لا تكمن في الاخذ بصرامة مناهج العلوم الطبيعية ، إنما الأخذ بروحها ،ثم الجمع بين الذوق والمعرفة ، والمزج بينهما هو أساس اللانسونية ، ففي هذا الجمع تقريب بين النقد العملي والنقد التأثري

لقدعمل لانسون على التوفيق بين الاتجاهين العلمي والتأثري ، فهو يرى أن النقد التأثري نقد مشروع ، بشرط أن لا يخرج عن الدائرة المسموح له فيها بالتحرك يقول : " النفد التأثري نقد مشروع لا غبار عليه ، ما ظل في حدود مدلوله ، لكن الخطر هو أن لايقف عند تلك الحدود ".-2- فعدم الإلتزام بالحدود المسموحة ، ومحاولة تخطيها يقود دون شك إلي المزالق والمخاطر

أن النقد التاريخي عند لانسون يعنى بتفسير النصوص الادبية ، ودراسة شخصيات الكتاب ، وإزاحة الستار عن أبعاد النص لكن ذلك يتم بمنأى عن إسقاط مناهج العلوم الطبيعية ، لأن من شأن ذلك أن يشوه التاريخ الادبي ، وفي هذا يقول : " إن محاولتي تين وبرونتيير في محاكاة عمليات العلوم الطبيعية ،واستخدام معادلاتها قد انتهى بهما إلى مسخ تاريخ الادب وتشويهه ".-3-

لقد حذر لانسون من خطر استعمال المعادلات العلمية في تفسير الاعمال الادبية ، لأت ذلك لن يفضي بأية حال إلى الحقيقة العلمية اليقينية، لعدم تطابق تلك المعادلات معطبيعة النص الادبي ،يقول : " استخدام المعادلات العلمية في أعمالنا بعيد من أن

1-لانسون ، منهج البحث في تاريخ الادب ترجمة محمد مندور ضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب ،ص395.

2- لانسون ، المرجع نفسه ، ص396 .

3- لانسون ، المرجع نفسه ، ص406.

يزيد من قيمتها العلمية ، هو على العكس ينقص منها إذغنتلك المعادلات ليست في الحقيقة إلا سرابا باطلاعندما تعبر في دقة حاسمة عن معارف غير دقيقة بطبيعتها ومن ثم تفسدها "1

فهو يرى أن استخدام الخطوط البيانية ، والأرقام للإستعاضة بها عن اللغة في تفسير الأعمال الإبداعيةلا يخلو من التعسف والشطط ،ولايقدم شيئا جديدا للنص الأدبي ، بل يسيئ إليه .

التاريخ العام وتاريخ الأدب : فرق لانسون بين علم التاريخ ووالتاريخ الأدبي ، حيث يقول : " موضوع التاريخ هو الماضي ، ماض لم تبق منه إلا امارات وأنقاض بواسطتها يعاد بعثه وموضوعنا نحن ايضاهو الماضي ولكنه ماض باق ، فالأدب من الماضي والحاضر معا "2

فعلم التاريخ يهتم بالماضي فقط ، أما الأدب فإنه يدرس أو يهتم بالماضي والحاضر في وقت واحد .والنصوص الادبية العريقة تظل تحتفظ بألقها وقيمتها رغم قدمها . ويعطي لانسون أهمية كبيرة للتاريخ ويفيد منه في تفسير النصوص ، ويعد الاعمال الرائعة من العوامل المساعدة على تفسير الظواهر الأدبية .

"ن المنهج النقدي التاريخي ، يعتمد على النظرية الأدبية في التحليل والتعليل ، ويستثمر معطيات العلوم الإنسانية ، خاصة علم التاريخ ، لتفسير الظاهرة وسيرورتها الزمنية " 3

أهمية الممارسة النقدية : تكتسي العملية النقدية أهمية كبرى غند لانسون، فمن خلالها يمكن معرفة النصوص الادبية ،ثم استخراج الطابع الفردي من الجماعي ، والأ صيل من التقليدي منها ، والهدف من ذلك جمع هذه النصوص في أنواع ومدارس وحركات ، وتحديد الصلات والروابط بين ةهذه المدارس .

وتحليل النصوص يقتضي حسب رأيه الإجابة عن مجموعة من التساؤلات لخصها على النحو التالي :

1-هل النص نسبته صحيحة ، أم النص منسوب إلي غير صاحبه أم منتحل بكامله ؟

2-هل النص تام كامل لايشوبه التشويه ؟

3- ما هو تاريخ النص ؟

4- ماهي التغيرات التي تحقت النص في طبقاته المختلفة ؟ وما هي الدلالات التي تنطوي عليها تلك التغيرات ؟

5- استخلاص المعنى الحرفي للنص ،معنى الالفاظ والتراكيب ثم معنى الجمل بايضاح العلاقات الغامضة

والإشارات التاريخية أو التي تتصل بحياة الكاتب نفسه

6- تقييم المعنى الادبي للنص ، أي تحديد ما فيه من قيم عقلية وعاطفية وفنية

7- كيف تكون المؤلف الأدبي ؟

8-أي نجاح حققه المؤلف ، وأي تأثير له ؟-4-

انطلاقا من هذه التساؤلات يمكن معرفة المؤلف ( الكتاب ) معرفة شاملة تفضي إلى وضعه ضمن خارطة تاريخ الفنون الادبية ،مبرزين في ذلك مختلف العلاقات والروابط التي تجمعه ببقية نصوص المؤلفات القريبة منه .

لقد حاول لانسون أن يخلص النص من تطبيق القوانين العلمية التي لا تجدي نفعا في تقديره ، وسعى الى مقاربة النص وتفسيره

معتمدا في ذلك على المنهج التاريخي ، والروح العلمية ، وتمكن من تحقيق نجاح ملحوظ غير ان ذلك لم يعفه من بعض الانتقادات لعل أبرزها إهمال الوقوف غلى الجانب الجمالي والفني للنص.

1 –لانسون،المرجع السابق ، ص 376.

2 – لانسون ، المرجع السابق،ص 406.

3- خمد عبدالعزيز السويلم ، معالم المنهج التاريخي عند النقاد السعوديين، ص84.

4- لانسون ، المرجع السابق ، ص410.